بلاد إيران قبل قيام الدولة الساسانية

قبل أن نبدأ دراستنا عن الدولة الساسانية يجب ان نعطي نبذة تاريخية عن أوضاعها السياسية بشكل عام قبل مجيء الساسانيين فبلاد ايران تعرضت للسيطرة الاجنبية من عدة اقوام مثل الدولة الميديية والدولة الاخمينيه ثم السلوقية فالفرثية ومن ثم جاء الساسانيون .

فلو جئنا الى الدولة الميديية فأن المعلومات عنها وعن تاريخ تأسيسها غامضة لشحة المعلومات والمصادر التي تذكرها ، وكل الذي يمكن الحصول عليه هي معلومات ضمنيه وردت في كتابات الاشوريين وغيرهم من الاقوام ، اذ اشارت بعض الكتابات الاشورية في معرض حديثها عن الحملات الاشورية على بلاد إيران الى الميديين وانه كانوا الى جانب الفرس .

اما الدولة الفارسية الاخمينيه ((الفرس الاخمينيون)) فالحال ينطبق عليها بندرة المعلومات التي تناولت تاريخها ألا أنه اقدم ذكر لهم ظهر في المدونات المسمارية الاشورية التي تعود بتاريخها الى القرن (٩) ق.م . المهم ان الدولة الفارسية الاخمينيه قد تأسست بعد أن اتحدت القبائل الفارسية في أواخر القرن الثامن ق.م. وتزعم هذا الاتحاد رجل كان يدعى على اغلب الظن ((أحمينس)) وبذلك تكون تسمية الاخمينين نسبة اليه ، ولم يبرز الاخمينيون كدولة قوية مستقلة الا زمن الملك كورش الاكبر الذي استطاع ان يمد نفوذه دولته على حساب مناطق نوفذ الدولة الميدييه والدول المعاصره له . الا أن نهاية هذه الدولة كان على يد الاسكندر المقدوني الذي استطاع بمدة زمنية أن يؤسس امبراطورية مترامية الاطراف اخضع في اثناءها قوة سياسية كبيرة من ابرزها الدولة الاخمينية .

الا ان دولة الاسكندر لم تدم طويلا بوفاته اذا كان ابنه صغير السن ويذكر البعض انه كان متخل عقليا لذلك تقاسم المملكة بعد الاسكندر المقدوني اثنين من من ابرز قادته (سلوقس وبطليموس) فحكم البطالسة مصر وبلاد الشام وحكم السلوقيون العراق وبلاد إيران .

ومن الجدير ذكره أن البطالسة في مصر والسلوقيين كانوا في صراع مستمر كانت نتيجة أن استطاع السلوقيون من توسيع مناطق نفوذهم على حساب البطالسة وكونوا مملكة مترامية الاطراف ، لكن الامر لم يدم حيث ضعفت هذه الدولة واخذت الاقاليم التابعة لها بالتمرد عليها واخذ الانقسام يدب في جسمها ، وكان من ابرز نتائج هذا التمردات والانقسامات بروز الفرثيون كدولة مستقلة .

الفرثيون

اعقب الحكم السلوقي في بلاد ايران حكم سلالة إيرانية انفصلت عن ذلك الحكم واستقلت في حدود منتصف القرن الثالث ق.م عرفوا بأسم الفرثيون وسموا كذلك الارشاقيين نسبة الى قائدها ارشاق وسموا كذلك ملوك الطوائف وقد اتخذوا من عاصمة الميدين همدان ((اكياتنا) عاصمة لهم في بادئ الامر ثم قاموا ببناء مدينة أو عاصمة خاصة بهم طيسفون .

كان جل اهتمام الفرثيون في بادئ امرهم التوسع على حساب المناطق المجاورة ، فكونوا دولة مترامية الاطراف . وملخص تاريخها هو عندما كانت بلاد إيران خاضعة لسلطة السلوقيين برز ي حدود ٢٥٠- (٢٤٧) ق.م قائدان اخوان هما ارشاق وتير داتس اللذان استطاعا ان يقودا القبائل الواقعة في غرب إيران (خراسان) للتمرد ضد سلطة السلوقيين ولم يستطيع القائد السلوقي من القضاء عليها وبخاصة ارشاق الذي استطاع ان ينتزع الاقاليم من ايدي السلوقيين وتوج نفسه ملكا ، ورغم محاولة الملك السلوقي سلوقس الثاني ٢٤٥-٢٢٦ ق.م قمع ثورته لكنه لم يتمكن من ذلك لانسحاب ارشاق الى منطقة السهوب البعيدة ولاضطرار الملك السلوقي العوده الى بلاد الشام بسبب تمردات وقلاقل في العاصمة انطاكية الامر الذي استغله الملك الفرثي ارشاق فستولى على اقليم خراسان وضم اليه مناطق جديدة تقع الى الجنوب الشرقي من بحر قزوين مكونا بذلك الجزء الرئيسي من المملكة الفرثية .

وقد دام حكم هذا الملك (ارشاق) لمدة ٣٧ سنة وطد خلال حكمه ووسع مملكته الى جهات مختلفة ونقل عاصمته الى طيسفون التي تقع على الضفة الشرقية من دجلة ، وقد خلف هذا الملك على حكم المملكة الفرثية عدة ملوك منهم ارطبان الاول . ومن الجدير بالذكر ان المعارك بين السلوقيين والفرثيون دامت مدة ليست بالقصيرة كانت الغلبة فيها للفرثيون الذين مدوا نفوذهم الى مناطق مهمة من جسم الدولة السلوقية مثل بلاد بابل وفارس واشور وازداد نفوذ الفرثيون لدرجة ان اتخذ ملوكهم لقب الملك العظيم لانهم يعتبرون انفسهم وارثون للإمبراطورية الاخمينية .

النزاع بين الفرثيون والرومان

ظهرت دولة كبرى بالقرب من الدولة الرومانية القديمة التي خلفت الدولة السلوقية والتي ظهرت اطماعها ببلاد الشام والعراق وظهر النزاع على اشده بوجه خاص منذ ان اشتد الحكم الفرثي ببلاد ما بين النهرين وانفردوا بحكم الاقاليم الشرقية ونشوء النزاع ما بين الفرثيون والرومان وقيام معارك كثيرة اعقبتها معاهدات

صلح بعد ان ادرك الرومان قوة الفرثيون من جهة ومن جهة اخرى لم يكن الفرثيون يشكلون ثقلاً مباشراً يهدد كيان الرومان . لذا تركهم الرومان وشأنهم واقاموا الحد الفاصل بين الدولتين حيث اقام الرومان عدة ثغور ودويلات حاجزة في العراق مثل دولة تدمر ونصيبين وحران والحضر وغيرها .

ومما لاشك فيه ان هذه الحروب والصراعات بينها والدولة الرومانية كانت سبباً مباشراً في استنزاف قوة الفرثيين واطعهم مما شجع الامراء الفرثيين على الثورات لتولي الحكم وكان آخر تلك الثورات ما قام به امراء اقليم فارس بزعامة الامير اردشير بن بابك بن ساسان ، ونجح في الاستقلال والقضاء على الملك الفرثي ، واليه نسبت السلالة الحاكمة الجديدة ((الساسانية)) عام ٢٢٧-٢٢٦م.

ومن المفيد ان نشير الى جوانب اخرى تخص اوضاع إيران قبل مجيء الساسانيين على اعتباره انها تمثل الجذور الاولى للحضارة الفارسية عبر فترة زمنية تبلغ الخمسة قرون .

لقد كان الايرانيون منذ القدم عبارة عن مجموعة من الاسر الكبيرة يستند نظامها الى اربع وحدات هي :- البيت ، القرية ، القبيلة ، الاقليم ، الا ان النظام الاسري ضف جزئياً نتيجة التأثير بالمناطق المجاورة الاكثر حضارة مثل حضارة بابل واشور حيث اقتبس الاخمينيون مثلاً الاساليب البابلية والميدية مع ما دخل عليها من اصلاحات بفعل المنظمين كورش ودار الاول .

وكانت السلطة السياسية الممثل بالملك حكومة بمجلس شورى مكون من كبار رجالات الاسرة الحاكمة من الامراء وكان هذا المجلس يعد المحدد الرئيسي لسلطة الملك وكانت هناك طائفة اخرى شاركت في تعريف شؤون الدولة والحكم هم رجال الدين واهل العقل الا انهم لم يكن لهم نفوذ سياسي وغالباً ما تمتع الحكام بسلطات مطلقة واستبداد في الحكم .

اما ما يخص الجانب الاقتصادي والتجاري فكانت هناك علاقات تجارية واسعة مع الدول المجاورة وبخاصة في عهد الفرثيين حيث نشط التبادل التجاري الامر الذي ادى الى تحسين الوضع الاقتصادي .

اما يخص المعتقدات فقد كانت سائدة عبادة قوى الطبيعة كالشمس والقمر والاجرام السماوية وكان الاله مزدا من ابرز تلك الالهة التي عبدها الايرانيون ، الا ان الديانة الزرادشتية انتشرت وبشكل كبير خاصة بعد انتشار امر زرادشت بين تلك الاقوام لانه كان يركز في دعوته على قضية الصراع بين الحق والباطل وعلى الاخلاق .

اما يخص الجانب العلمي والثقافي فقد كانت له اولوية اذ أن الاهتمام بالجانب العلمي والثقافي مثلاً كان سبباً في انتشار الديانتين اليهودية والمسيحية في العصور اللاحقة ، حيث اهتم الملوك بجلب الكتب ونقل العلوم من الحضارات المجاورة او الاقتباس من الضارات السابقة .

وخلاصة القول ان بلاد إيران مرت بمراحل تطويرية في العصور التي سبقت قيام الدولة الساسانية وعلى مختلف الجوانب الامر الذي مهد لملوك الدولة الساسانية من الاستفادة من هذا الميراث الحضاري في تكوين امبراطورية مترامية الاطراف تركت اثراً واضحاً ي التاريخ في كافة الاصعدة .